

تلخيص

هذا البحث من فرضية أن غسان كنفاني يعبر في رواياته عن بنيته الفكرية الخاصة، لكنه لا يعبر عن الفكرية المتعددة الموجودة في الطبقة الاجتماعية لما تحويه الأخيرة من تناقضات واختلافات. مع ذلك، يبقى الإنتاج الأدبي الغساني إنتاجاً شعبياً؛ فهو يعبر عما يريد الشعب قوله وفعله.

بحث في العلاقة بين الرواية والتاريخ إلى أن الرواية الغسانية تدحض جزءاً من التاريخ المكتوب. بين أدينا؛ فهذا الأخير يعرض الأحداث والعلاقات الاجتماعية بلسان السلطة وقلمها، ويحرص على ما يخدم مصلحته. في المقابل، تعبر الرواية الغسانية عن جمل تاريخية توقظ الفكر وترفض السلطوي بما يحمله من تبعات معرفية، فالمعرفة لا تؤخذ على طبق من ذهب، بل يتوجب البحث حليلها بناءً على الواقع الموجود في الحاضر، كما أنها تراكمية، فما يحدث اليوم هو استمرار لما لأمس ولما سيحدث غداً.

في الدراسات التي ناقشت العلاقة بين اليوم والأمس والغد - أو بتعبير آخر بين الحاضر والماضي - على أنها علاقة تلاحمية، كما يقول باختين، وممزوجة كما تشير بعض الدراسات العربية، الحافظ وشبيل والقصراوي؛ فدراسة الماضي تتم من بوابات الحاضر، كما أن الماضي يستقبل والحاضر يحضر المواد الإنشائية للمستقبل وينطلق نحوه، والرواية ترى الماضي بعين والحاضر ترى، وهذه الرؤية تشكل عدة رؤى متجهة صوب المستقبل.

علاقة بين الرواية والمجتمع بالعلاقة الجدلية الحتمية التي تعبر عنها الرواية الغسانية من خلال الصراعات داخل الطبقة الاجتماعية، كما أن كثيراً من الباحثين، وعلى رأسهم باختين

وغولدمان، كانوا قد شددوا على أنّ الرواية تعبير عن إحداثيات الطبقة الاجتماعية والتاريخية. رواية الغسانية لم تستطع، برأبي، التعبير عن كل الجمل المتناقضة التي تحملها الطبقة، وينطبق هذا لوجة التي تحملها الرواية الغسانية وعلى أية رواية كانت أو أي نص مكتوب مهما كان، إذ يحمل دلوجة معينة مشروطة، أولاً، بالبنية الفكرية والطبقية والاجتماعية التي ينتمي إليها الأديب، وثانياً، الاقتصادية والسياسية والثقافية التي يعيش فيها. والأدلوجة لا تستطيع حمل التناقضات المختلفة ل وقوة هذه الأخيرة وعجز الأدلوجة عن استيعابها.

التساؤل الأساسي في هذه الدراسة حول الرؤية الفكرية الغسانية وعلاقتها بالرؤى الفكرية عية السائدة في المجتمع الفلسطيني تحت الاستعمار. بالإضافة إلى ذلك، يتطرق البحث إلى موقف لغسانية من الأدلوجة والأدب الفلسطينيين السائدين من ناحية، ومن الاستعمار من ناحية أخرى، ن ماهية نموذج الرواية الغسانية وعلاقتها بأدب المقاومة والثورة.

اسة الروايات الغسانية الثلاث: رجال في الشمس (1963)، ما تبقى لكم (1966) وأم سعد ؛ استخدمت المنهجية البنوية التكوينية بمرحلتينها، الفهم والتفسير. وقد قادت هذه المنهجية إلى ح البنى الروائية الثلاث وهي: الهروب، المواجهة والمقاومة وما تحويها من تعبيرات روائية ت كالموت، السرقة والولادة؛ وبنى صغرى كبنية فقدان، بنية الرفض وبنية الثورة.

لى العلاقة بين ما ذكر، تم إنتاج الرؤية التكوينية الغسانية للمجتمع الفلسطيني، وهي التشكيل ي المقاوم والثوري. كما تم ربط هذه الرؤية التكوينية بالعمليات الاجتماعية السائدة والمتمثلة ن، الإقطاعي الفلسطيني التقليدي السائد والاستعماري، واللذين يشكلان معاً الفكر الرسمي في ، وهو الفكر نفسه الذي يناوئه الفكر الشعبي والثوري الغساني.

الظرف الاستعماري الذي تواكبه الكتابة الفلسطينية، والرواية الغسانية كجزء منها، فُرضت قيود معينة أدت إلى تقييد الرواية الغسانية في جانب وجعلتها حرة في جانب آخر؛ فهي كانت مقيدة في ها للمفردات التعبيرية، بمعنى أنه تحتمّ عليها استخدام مفردات الهروب، الفقدان، الضياع، السرقة، المواجهة، الرفض، المقاومة، الولادة والثورة كشرط من شروط نفي الظرف الاستعماري؛ من جانب آخر، حرة في التعبير عن العلاقات الاجتماعية العينية التي نفت المنظومة الاجتماعية بما تحمله من عادات وتقاليد تعيق فهم مسيرة الحياة اليومية. في كل الأحوال، كان الصدى الذي رواه الغسانية أقوى من أن نضعها على رفوف المكتبة دون قراءتها، فهي تدغدغ من يبحث عن نساني من النظام الفلسطيني والاستعماري على حدّ سواء. كما أنها، وفي الآن نفسه، تنفي كليهما تعبير قوي وبسيط. ويحسب لغسان استخدامه الأدوات والآليات الفنية كالتكثيف والترميز ، فضلاً عن استخدام مفردات وتعابير بسيطة لتعبير عن الوقائع المعيشية اليومية، بعض هذه ما زال فاعلاً حتى اللحظة. على سبيل المثال، يذكر لنا غسان بطله أبو الخيزران والذي ما زال مياً رجلاً ونساءً ليهربهم من الضفة إلى القدس والمناطق الفلسطينية المحتلة عام 1948. وتحدث ذلك عن الفلسطينيين الذين ما زالوا يهجّرون أو يهاجرون للبحث عن العمل والرزق، وما زالت الفرقة تلقيان بظلالهما على البلدان العربية رجال في الشمس (1963). وتحدث أيضاً عن قطع هرباً من فلسطين إلى الأردن والذي لا زال مستمراً حتى الآن، كما تحدث عن المشكل الذي تعيشه تروج بعد في مجتمعها العربي وهو قائم حتى الآن، وتحدث أيضاً عن العميل الذي يشي بالمناضل د أشكال المعاناة التي يعيشها المجتمع الفلسطيني حتى الآن؛ فما زال العميل يباع للاستعمار لأثمن، وما زالت الخيانة تستشري وتزداد في أحضان السياسي والاجتماعي، وما زال الإسرائيلي

الحوار مع الفلسطيني، وما زالت الدماء الفلسطينية تسيل في غزة ما تبقى لكم (1966). وعبر عن الفدائي المطارء، والأسير الذي لا يتزحزح عن مبدئه، والعميل الذي يشتغل في البرلمان لي، وهؤلاء هم فئات من المجتمع الفلسطيني اليوم. وما زال الأطفال يرمون الحجارة ويلمون ن الفارغ، وما زال الفدائي يلعب في الفضاء الفلسطيني، وما زالت أمه تزغرد، وما زالت تتنفس على الرغم من التضيق والحصار أم سعد (1969).